تحـوّرات covi19 إلى أيـن؟

أ.د. إسماعيل روينة

الفيروسـات هي جسـيمات في منتهى الدقّة لا تُرى إلّا بأدقّ المجاهر وتسـمّى في العربيّة بالحمّة وجمعهـا حمـات، يتركّـب الفيروس من مـادة بـروتـينـيّـة هي حـمـض الـنّـووي مـنـقـوص الأكسـجين(DNA) أو الحمض النّووي الريبي (RNA) كما في حالة الفيروس التّاجي (coronary virus) الـذي يكون محـاط بغلاف بروتيني بـه نتوءات حادّة لثقب الخليّة المسـتهـدفـة. يكون الفيروس خاملاً في الظروف العاديّة، ثم ينشـط ويكون سـريع الانقسـام في ظروف معيّنة، وقد يعدّل من شكله، وفي هذه الحالة يتطلّب التّعرف على خصـائصـه واكتشـاف العامل المضـادّ له للقضاء عليه وقتاً معيّناً، كما حدث مع الفيروس التّاجي الذي اكتُشف في ديسمبر 2019 في مدينة ووهان بالصين وعُرف بـفيروس كورونا covi19، وسـمّي المرض الـذي يسـبّبـه بمرض الفيروس التّاجي -19، كوفيد Covide- 19، والذي اعتبرته منظّمة الصـحّة العالميّة مؤخّراً وباءً عالميّاً. وقد عُرفـت الفيروسـات وآثـارهـا منـذ زمن طويـل، وتُدرس حالياً في كليّات الطبّ والبيولوجيا ضـمن علم الفيروسات (virology).



بصـرف النّظر عن العوامـل الموضـوعيّـة لأسـباب وجودها أو غيابها أو شـدّة تأثيرها، فإنّ الفيروسـات هي جيوش طبيعية مكوّنة من جند مجهّزة بأسـلحة ذات حدّين، فقد تكون مسـخّرة لأمور نافعة، كمحاربة البكتيريا أو تنظيف المياه أو لإجراء عمليّات حيويّة ضـروريّة في أجسـامنا وقـد تسـخر لأمور ضـارة كإحـداث الأمراض والأوبئة. وهي في ذلك مثل الأمطار التي تنزل غيثا ينتفع به في الشّـراب والطّعام والسّـقي وغيرها، وقد تأتي طوفانيّة كارثيّة. أو مثل الرّياح التي قد تأتي نسـيما عليلاً أو رياحاً لواقح، وقد تأتي ريحاً صـرصـراً عاتية مدمّر ة . رغم أنّه لن يصـيبنا إلّا ما كتب الله لنا فإن الإنسـان مطالب بالاحتراز و اتخـاذ الاجراءات الوقـائيـة المطلوبـة و البحـث العلمي في مجـال الفيروسـات بهـدف معرفـة خصـائص هذا الفيروس و بالتالي الوصـول الى اللقاح المضـادّ له للقضـاء عليه لأنّ الله ما خلق داء إلّا و جعل لـه دواء و تبقى الكفاءة و القـدرة على اكتشـاف هـذا الـدواء من مهـام العلمـاء و الباحثين الذين يعملون بهدف خدمة البشـرية كما فعل أسـلافهم من العلماء العاملين الذين

انقذوا البشريّة باكتشافاتهم و نوروها بأفكارهم؛ فخلّدوا أسماءهم في مختلف الميادين مثل العالم الشّهير الذي اكتشف البينيسيلين پاستور . (Pasteur)

أمّا أن يكون هذا الفيروس من صناعة جهة معّينة لإلحاق الضرر بجهة أخرى فذلك أمر فيه نظر كما يقال. والمعروف أن أيّ تلوّث في البيئة بمكوناتها الثّلاث (تراب، ماء، هواء) سواء بالفيروسات أو بغيرها من الملوّثات يكون من فعل الإنسان عادة سواء بقصد أو بغير قصد، أو نتيجة لأيّ سلوك ضار آخر مهما كان نوعه. وقد يفهم ذلك من قوله تعالى: **" ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلّهم يرجعون"** سورة الرّوم الآية ٤٠.

رغم كلّ المجهودات الكبرى التي تبذلها الدّول والمنظمات الصّحيّة ومخابر البحث والمجتمعات كلّ في مجال اختصاصه لمحاربة هذا العدوّ الشّرس رغم ضآلته اللّامتناهية في الصّغر والمسلّط على الانسان رغم قوّته وعلمه، إلّا هذا الوباء لازال مستفحلا في أكثر بلدان العالم، حيث يفاجئنا في كلّ مرّة بموجة من الطّفرات أو التّغيّرات ينتج عنها سلالات من الفيروسات المتحوّرة أو متحوّلات كما يطلق عليها. التي تتضمّن العديد من السّلالات الجديدة من هذا الفيروس اللعين الذي لا يميّز بين الأشخاص مهما كان مصدره سواء كان طفرة طبيعية (Natural Mutation) أو طفرة اصطناعية (Artificial Mutation) ومن هنا أصبح الهلع ملازما للمجتمعات.



الجدير بالتّحذير والدّافع إلى القلق والرّعب في العالم هو تزايد هذا الفيروس بحكم تزايد الطّفرات (Mutation) كما تسمّى علميّاً، وبالتالي فإنّ سلالته في تزايد، وآخر مثال أعلن عنه هو المتحوّر الجديد المعروف بمتحوّر أوميكرون (Omicron)الذي يتضمّن العديد من السلالات من فيروس كورونا الذي يتواصل انتشاره في الكثير من أنحاء العالم. والذي لازال البحث للتّعرف على خصائصه: اعراضه، بنيته، سرعة ومدى انتشاره، وشدّة تأثيره...، ويبقى السّؤال الكبير هو هل هذه الطّفرة في الفيروس هي من النّوع الطّبيعي أم الاصطناعي؟

وخلاصة القول أنّ المطلوب من كل الناس في هذه الحالة هو الالتزام بأخذ أسباب الشّفاء والالتزام بالإجراءات الوقائيّة الموصى بها من الهيآت الصحيّة العالميّة والمحليّة وكذلك الحرص الشّديد على التلقيح (vaccination) ضدّ هذا العدوّ اللعين، للقضاء عليه والتّخفيف من آثاره المدمّرة واكتساب المناعة ضدّه. وقبل ذلك وبعده التوكل على الله الذي بيده الامر كلّه اللهم يا من بيده الأمر كله، ارفع مقتك وغضبك عنا ولا تحاسبنا على ما فعلنا وردّنا إليك ردّاً جميلاً.